أثر أسرة المقادسة في الحياة العلمية في دمشق خلال القرن 6هـ/11م

أ/ فراج وسيلة

أستاذ تاريخ وسيط

تقديم:

تعرضت مناطق عديدة من العالم الإسلامي إلى الاحتلال الصليبي خاصة بلاد الشام، حيث شنَ الصليبيون تسع حملات كبرى منها حملة لاحتلال بيت المقدس سنة 492هـ/1099م (1) ، فتعرض سكانها للقتل و الظلم و الاضطهاد فاضطر سكانها إلى الهجرة نحو العراق و مصر و دمشق ومن أشهر الأسر التي هاجرت نحو دمشق أسرة بني قدامة المقدسية الحنبلية ، التي كان يرأسها الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي المتوفى ستة 558هـ /1163م الذي عزم على الهجرة هروبا بدينه من الفرنج سنة 551هـ/1156م بصحبة عائلته (2) ، وعند وصولهم إلى دمشق استقروا بمسجد أبي صالح (3) بظاهر الباب الشرقي من المدينة مدة أكثر من ثلاث سنوات ثم انتقلوا إلى جبل قاسيون (4) وهناك عمَروا المنطقة بالبناء و التشييد فسميت بالصالحية (5) ، وكان لهجرتهم أثر كبير على الحياة العلمية بدمشق فيما تمثل هذا الأثر ؟ و ما هي أهم إنجازاتهم العلمية ؟

أولا – كبار العلماء المقادسة ونشاطهم العلمي :

اشتهر أكثر من عشرين عالما مقدسيا نشطوا بتنظيم حلقات العلم في الجوامع والمدارس التي بنوها بالصالحية بدمشق وتعددت تخصصاتهم العلمية ، أكبرهم مؤسس الصالحية أحمد بن قدامة المقدسي المتوفي سنة 558هـ/1163 م ، الذي بنى الدور بالصالحية ، ونشر العلم ونشط بالتحديث ، وابنه أبو عمر محمد بن قدامة المقدسي المتوفي سنة 607هـ/1210م ، الذي حل محله في نشر العلم خاصة الفقه وإقراء القرآن ، كما اشتهر أخوه موفق الدين بن قدامة المقدسي المتوفي سنة 620هـ/ 1223 م الذي نشر الفقه على مذهب الحنابلة وحدث وعلم القرآن والتفسير(6)

ومنهم أيضا المحدث الضياء أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن منصور السعدي المتوفى سنة 643هـ/1245م الذي نشر علم الحديث بجبل الصالحية (7)

وقد أنجبت أسرة بني قدامة المقدسية الكثير من الأحفاد الذين نشروا العلم وتقلدوا وظائف الإمامة والقضاء ورواية الحديث وإقراء القرآن في جوامع الصالحية ومدارسها ومن أبرزهم:

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الصالحي المتوفي سنة 682هـ/ 1283م كان من كبار القضاة الحنابلة بالشام وقد درّس وأفتى وأقرأ العلم وانتفع به الناس، ومحمد بن ابراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر المقدسي المتوفي سنة 648هـ/1250م نشط بحلقاته بالجامع المظفري خاصة حلقات الحديث ودرَس أيضا بمدرسة جده أبي عمر وبالمدرسة الضيائية (8) ومنهم الشيخ علي بن عبد الرحمن بن أبي عمر المتوفي سنة 699هـ/1299م ودرَس أيضا بمدرسة جده الشيخ أبي عمر ، ومحمد بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر المتوفي سنة 697هـ /1297 م(9).

واشتهر أيضا القاضي المسند سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبي عمر المتوفي سنة 715هـ/1315م الذي نشر الفقه والحديث وكان الشيخ يوسف المزي وتقي الدين بن تيمية يحرص على حضور حلقاته العلمية(10).

والحسن بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر المتوفي سنة 695هـ/1295 م كان يدرس الفقه والحديث بمدرسة جده أبي عمر وبدار الحديث الأشرفية وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عمر المتوفي سنة 732هـ/1331م ونشط أيضا في نشر الفقه(11).

وقاضي القضاة عز الدين أبو عبد الله المقدسي المتوفي سنة 731 هـ/1330م حيث نشر الفقه والحديث ودرس بالجوزية ودار الحديث الأشرفية بالجبل ، وشمس الدين بن أبي عمر المقدسي محمد بن حمزة وقد درسَ وأفتى وأتقن المذهب الحنبلي وكتب الخط و توفي سنة 697هـ/ 1297 م (12).

ومنهم أيضا نجم الدين أبو العباس المقدسي كان شيخ الحنابلة توفي سنة 689هـ/1290م وتقي الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الله المقدسي كان يخطب بالجامع المظفري(13) .

ومن المحدثين أيضا أحمد بن إبراهيم بن عبد الله المتوفى سنة 726هـ/ 1326 م .وأحمد بن إسماعيل بن أحمد بن عمر المتوفي سنة 773هـ/1371م وأحمد بن الحسن بن عبد الله بن عمر المقدسي المتوفي سنة 771هـ/1369 م وداود بن حمزة بن عمر المتوفي سنة 701هـ/1301م ومحمد بن أحمد بن إبراهيم المقدسي المتوفي سنة 780هـ/1378م والعز خطيب الجبل ابن الخطيب شرف الدين المقدسي المتوفي سنة 666هـ/1267م(14) .

وتلخيصا لما ذكرناه نضع الجدول الآتي ونمثله في رسم بياني

جدول عدد العلماء حسب التخصص :

العالم	سنة الوفاة	التخصص
أحمد بن قدامة	558هـ/1163م	الحديث الفقه
محمد بن أحمد بن قدامة	607هـ/1210م	علوم القرآن
موفق الدين بن قدامة	620هـ/1223م	القرآن الفقه الحديث
الضياء المقدسي	643 هـ/1245م	الحديث الفقه
عبد الرحمن بن محمد المقدسي	682هـ/1283م	الفقه
محمد بن إبراهيم	648هـ/ 1250م	الفقه الحديث
علي بن عبد الرحمن	699هـ/ 1299م	الفقه
محمد بن حمزة	697هـ/ 1297م	الحديث
سليمان بن حمزة	715هـ/1315م	الفقه الحديث
حسن بن عبد الله	659هـ/1295م	الفقه الحديث
عبد الرحمن بن إبراهيم	732هـ/1331 م	الفقه الحديث
عز الدين المقدسي	731هـ/ 1330م	الفقه الحديث
شمس الدين بن أبي عمر	697هـ/ 1297م	الخط الفقه
نجم الدين المقدسي	689هـ/ 1290م	الفقه
أحمد بن إبراهيم	726هـ/ 1326م	الحديث الفقه
أحمد بن إسماعيل	773هـ/ 1371م	الحديث
أحمد بن الحسن	771هـ/ 1369م	الفقه الخط الشعر
داود بن حمزة	701هـ/ 1301م	الفقه

محمد بن أحمد	780هـ/ 1378م	الحديث
العز الخطيب	666هـ/ 1267م	الفقه

-مجموع عدد علماء حسب التخصص:

الحديث	الفقه	علوم القرآن	الخط	الشعر
11	16	2	1	1

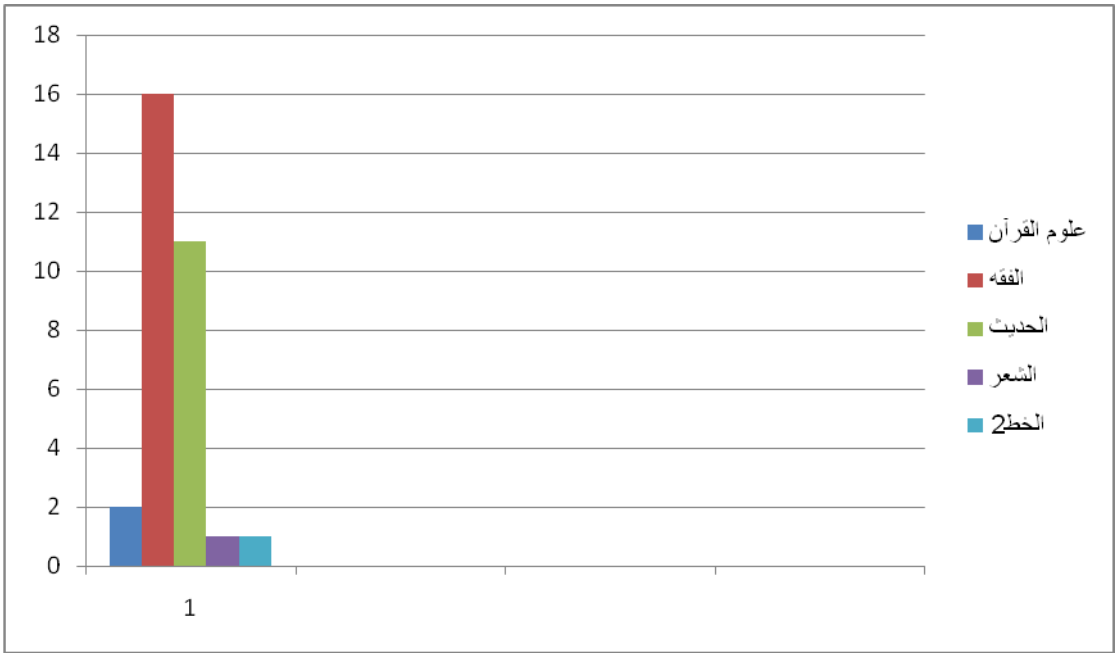

ومنه يتبين أن العلماء اهتموا أكثر بعلم الحديث و الفقه حيث تصدروا حلقات التحديث و الفتوى و قليل منهم من تخصص في علوم القرآن و الخط و الشعر

و الرسم يوضح ذلك.

ثانيا: كبار العالمات المقدسيات ونشاطهن العلمي :

وكان لنساء بني قدامة دور كبير في تنشيط الحياة العلمية بدمشق فكن يجتمعن لنشر العلم بالأربطة والزوايا والجوامع وقد أحصيت منهن حوالي ثلاثين إمراة اهتممنا خاصة بعلم الحديث من أشهرهن :

حبيبة بنت الشيخ أبي عمر محمد بنت أحمد بن قدامة المقدسية توفيت سنة 674هـ/1275م وأختها آمنة بنت أبي عمر توفيت سنة 637هـ/1239 م كن يجتمعن في رباط دير الحنابلة بالصالحية لتعليم القرآن وتدريس الحديث (15).

ومنهن أيضا أم محمد صفية ابنة أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله ابن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسية الصالحية توفيت سنة 660هـ/1262 م سمعت الحديث من أحمد بن عبد الدائم وغيره وحدثت (16).

وعائشة بنت عيسى بن عبد الله بن أحمد بن قدامة أم أحمد بنت المجد بن الشيخ موفق الدين المقدسي توفيت سنة 697هـ/1297م (17).

وممن كن ينشطن بالتحديث بالجامع المظفري زينب بنت محمد بن عبد الله بن أبي عمر المقدسية توفيت سنة 746هـ/1345م وفاطمة بنت عبيد الله بن محمد بن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عمر المقدسية الصالحية توفيت سنة 732هـ/1332م سمعت صحيح مسلم علي بن عبد الدائم(18).

وأم عبد الله حبيبة ابنة العز ابراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسية الصالحية توفيت سنة 745هـ/ 1344 م وزينب بنت شيخ الإسلام شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بنت محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة توفيت سنة 739هـ/1338م(19).

وست العرب بنت ابراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر بن قدامة زوجة قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن الشيخ شمس الدين توفيت سنة 710هـ/1310م وأم أبي بكر زينب بنت قاضي القضاة تقي الدين أبي الفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر المقدسي توفيت سنة 739هـ/1338 م (20).

ومنهن أيضا صفية بنت عبد الرحمن الصالحية توفيت سنة 699هـ/1299م وزينب بنت العلم الصالحية توفيت سنة 687هـ/1288م وسعيدة بنت عبد الملك بن عمر المقدسية توفيت سنة 640هـ/1242م ، وفاطمة بنت العز إبراهيم المقدسية توفيت سنة 747هـ/1346م وزينب بنت أحمد بن عبد الرحيم المقدسية توفيت 740هـ/1339م وأسماء بنت محمد بن الكمال المقدسية توفيت سنة 723هـ/1315م وست العرب بنت سيف الدين المقدسية الصالحية توفيت سنة 734هـ/1333م وست العرب الحافظ بن عبد المنعم المقدسي توفيت سنة 730هـ/1329م وهدية بنت عبد الحميد المقدسية الصالحية توفيت سنة 699هـ/1299م وأم إبراهيم فاطمة المقدسية توفيت سنة 747هـ1346م وعائشة بنت محمد الجزري توفيت سنة 743هـ/1342م وحبيبة بنت عبد الرحمن المقدسية توفيت سنة 733هـ/1332م وزينب بنت شكر المقدسية توفيت سنة 722هـ/1322م و فاطمة بنت إبراهيم المقدسية توفيت 658هـ/1260م ورابعة بنت أحمد بن محمد بن قدامة

المقدسية توفيت سنة 620هـ/1223م وحرمية بنت ناصر المقدسية توفيت سنة 705هـ/1305م وخاتون بنت عبد الله المقدسية توفيت سنة 702هـ/1302م وخديجة بنت عبد الرحمن المقدسية توفيت سنة 707هـ/ 1307م و ست العرب بنت إبراهيم بن قدامة توفيت سنة 710هـ/1310م وسارة بنت العز عمر المقدسية توفيت سنة 734هـ/ 1333م وغيرهن من النساء المقدسيات اللاتي كان لهن دور كبير في نشر العلم بالصالحية حيث كن ينظمن مجالس علمية تارة في بيوتهن وتارة في الجوامع والأربطة التي بنوها (21).

جدول عدد العالمات المقدسيات حسب تخصص:

العالمة	سنة الوفاة	التخصص
حبيبة بنت أبي عمر	674هـ/ 1275م	الحديث القرآن
أمنة بنت أبي عمر	637هـ/ 1239م	الحديث القرآن
صفية بنت أحمد	660هـ/ 1262م	الحديث
عائشة بنت عيسى	697هـ/ 1297م	الحديث
زينب بنت محمد	746هـ/1345م	الحديث
فاطمة بنت عبيد الله	732هـ/1332م	الحديث
حبيبة بنت العز	745هـ/ 1344م	الحديث
زينب بنت شمس الدين	739هـ/ 1338م	الحديث
ست العرب بنت إبراهيم	710هـ/1310م	الحديث
زينب بنت تقي الدين	739هـ/ 1338م	الحديث
صفية بنت عبد الرحمن	699هـ/ 1299م	الحديث
زينب بنت العلم	687هـ/ 1288م	الحديث
سعيدة بنت عبد الملك	640هـ/ 1242م	الحديث
فاطمة بنت العز إبراهيم	747هـ/ 1346م	الحديث
زينب بنت أحمد	740هـ/ 1339م	الحديث
أسماء بنت محمد	723هـ/ 1315م	الحديث
ست العرب بنت سيف	734هـ/ 1333م	الحديث

ست العرب بنت الحافظ	730هـ/ 1329م	الحديث
هدية بنت عبد الحميد	699هـ/ 1299	الحديث
أم إبراهيم فاطمة	747هـ/ 1346م	الحديث
عائشة بنت الجزري	743هـ/ 1342م	الحديث
حبيبة بنت عبد الرحمن	733هـ/ 1332م	الحديث
زينب بنت شكر	722هـ/ 1322م	الحديث
فاطمة بنت إبراهيم	658هـ/ 1260م	الحديث
رابعة بنت أحمد	620هـ/ 1223م	الحديث
حرمية بنت ناصر	705هـ/ 1305م	الحديث
خاتون بنت عبد الله	702هـ/1302م	الحديث
خديجة بنت عبد الرحمن	707هـ/1307م	الحديث
ست العرب بنت إبراهيم	710هـ/1310م	الحديث
سارة بنت العز	734هـ/ 1333م	الحديث

مجموع عدد العالمات حسب التخصص:

الحديث	علوم القرآن
28	2

من خلال الجدول و الرسم البياني نلاحظ أن النساء تخصصن أكثر في علم الحديث وقليلات من تخصصن في علوم القرآن .

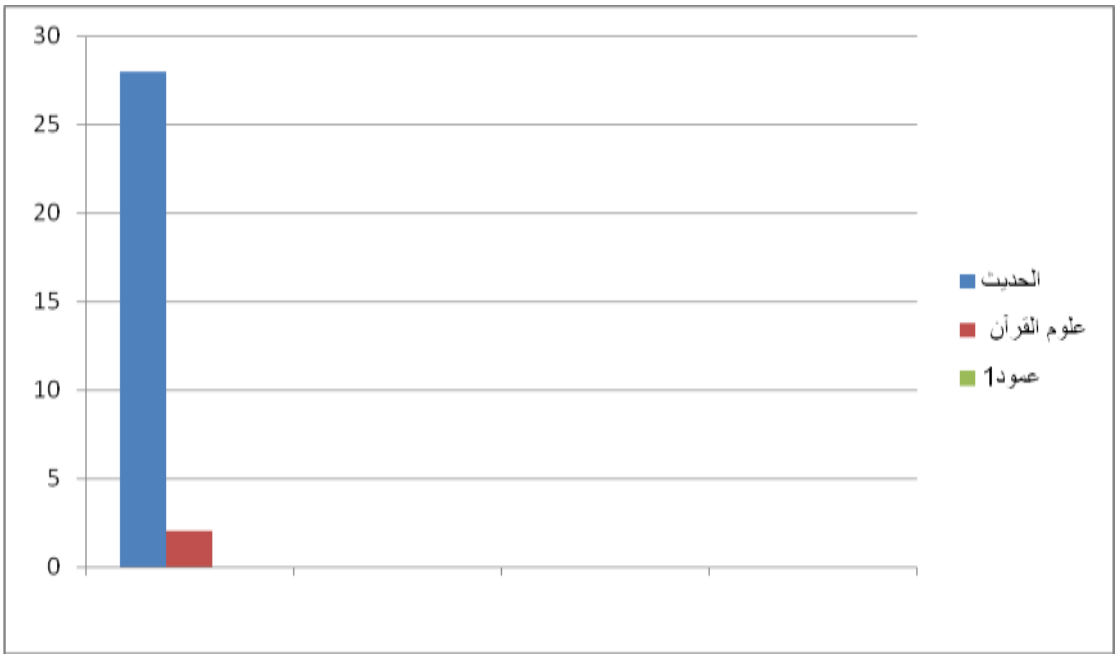

ثالثا : الإنتاج العلمي للمقادسة :

أكثر العلماء المقادسة من التأليف وتنوع حسب العلوم كالفقه والحديث و علوم القرآن والعقيدة أحصيت منها حوالي ثلاث و ثلاثين مصنفا فابنسبة لمؤلفاتهم الفقهية فمنها كتاب "المغني في شرح الخرقي " وهو كتاب بليغ في المذهب في عشر مجلدات وكتاب " مناسك الحج " و كتاب "المقنع" و كتاب" مختصر الهداية " في جزء و كتاب " العمدة " لموفق الدين بن قدامة المقدسي المتوفى سنة 620 هـ/1223م وكتاب " ذم المسكر " في جزء و"الموبقات " أجزاء كثيرة للضياء المقدسي المتوفى سنة 643هـ/ 1245م و كتاب "مسألة رفع اليدين" و كتاب" شرح المقنع " في عشر مجلدات لعبد الرحمن بن محمد المقدسي المتوفى سنة 682هـ/1283 (22).

و أما مؤلفاتهم في علم الحديث كثيرة منها " مختصر العلل" و هو مجلد ضخم و " مشيخة الشيوخ " أجزاء كثيرة و" الكافي" في أربع مجلدات لموفق الدين بن قدامة المقدسي و كتاب " الأحاديث المختارة " في تسعين جزء و كتاب" فضائل الشام" ثلاث أجزاء و" مناقب أصحاب الحديث " و " إفراد الصحيح" جزء و" غرائبه " تسع أجزاء للضياء المقدسي (23).

أما مصنفاتهم في العقيدة كتاب " الإعتقاد " في جزء و" كتاب القدر" جزءان و كتاب "مسلة العلو" لموفق الدين بن قدامة المقدسي و كتاب " صفة الجنة " ثلاث أجزاء و " صفة النار" جزءان و " كلام الأموات" جزء

و كتاب "دلائل النبوة " للضياء المقدسي أما في علم الكلام كتاب " ذم التأويل " جزء و " مسألة في تحريم النظر في علم الكلام " لموفق الدين بن قدامة المقدسي (24).

أما علوم القرآن نجد كتاب " البرهان في مسألة القرآن" لموفق الدين بن قدامة(25)

أما مؤلفاتهم في السيرة و التاريخ كتاب " منهاج القاصدين في فضائل الخلفاء الراشدين " لموفق الدين بن قدامة و كتاب " الهجرة إلى أرض الحبشة" جزء وكتاب " سبب هجرة المقادسة إلى دمشق و كرامات مشايخهم " في عشر مجلدات و كتاب " قصة موسى عليه السلام " للضياء المقدسي (26).

و هناك كتب أخرى عامة منها كتاب " ذم الوساوس" لموفق الدين بن قدامة و كتاب " القصد المفيد في حكم التوكيد " لأحمد بن الحسن المقدسي المتوفى سنة 771هـ/ 1369م(27).

و الجدول يوضح و يلخص لنا تخصصات العلماء المقادسة حيث نلاحظ أن أكثر المصنفات في علم الحديث و الفقه بأجزاء كثيرة قد تصل إلى تسعين جزءا كما ذكرنا لأن كبار العلماء كانوا يتصدرون الفتوى و التحديث ثم تأتي كتب السيرة و التاريخ و علم الكلام و العقيدة و الرسم البياني يوضح ذلك

جدول عدد المصنفات حسب التخصص:

التخصص	عدد المصنفات
الحديث	8
الفقه	9
القرآن	1
العقيدة	7
علم الكلام	2
السيرة والتاريخ	4
كتب عامة	2
المجموع	33

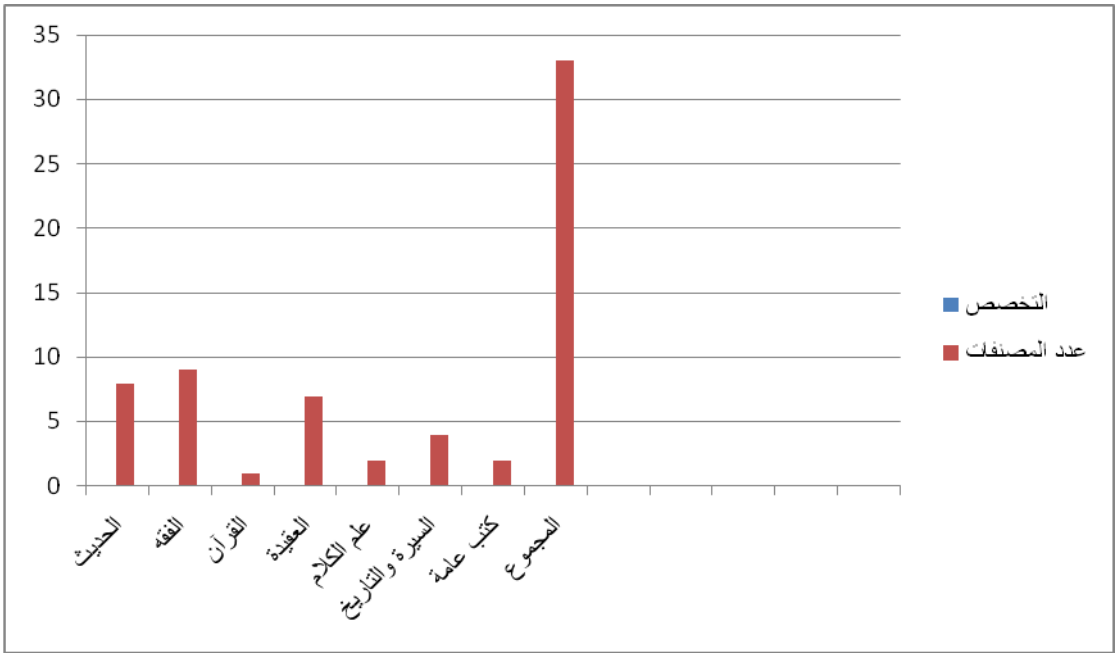

وبذلك يتبين أن أسرة بني قدامة كان لها الفضل في نشر العلم بدمشق وازدهار حركة التأليف خاصة الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل واشتهر الكثير من العلماء الذين خرجوا طائفة من التلاميذ ساروا على نهجهم واهتموا بالعلم والتصنيف رجالا ونساء فقد أحصيت أكثر من عشرين عالما وثلاثين عالمة وتم تصنيف أكثر من ثلاث وثلاثين مصنفا وهذه الإحصائيات على سبيل التمثيل لا الحصر.

رابعا : بناء المراكز العلمية :

كان للمقادسة دور كبير في البناء والتشييد بالصالحية خاصة الجوامع والمدارس ودور القرآن والحديث ومنها :

أ- جامع الحنابلة :

ويدعى أيضا جامع الجبل والجامع المظفري يقع بسفح جبل الصالحية ، شرع الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي سنة 598هـ/1202 م ببنائه وأوقف عليه أيضا الملك المظفر كوكبري صاحب إربل توفي سنة 630هـ/1232م أموالا لإتمام بنائه فأكمله أبو عمر (28) .

وكان أول من تولى الخطابة فيه الشيخ أبو عمر المقدسي ثم ولى الخطابة بعده تقي الدين ابن الحافظ الحنبلي وشمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر توفي سنة 682هـ/1283 م الذي اعتنى بالحديث والفقه (29).

ومنهم الفقيه عبد الله بن أبي عمر محمد المقدسي توفي سنة 643هـ/1245م الذي تفقه على يد والده وعمه الفقيه وخطب بالجامع مدة (30).

وممن اشتهر بالخطابة في هذا الجامع عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر الإمام الخطيب توفي سنة 773هـ/1371م ، وعبد الله بن أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الإمام الخطيب ولد سنة 578هـ/1182م وعلي بن عبد الرحمن بن أبي عمر الشيخ الإمام أبو الحسن بن شمس الدين المقدسي توفي سنة 699هـ/1299م (31) .

وأصبح الجامع يعج بالعلم والعلماء منذ بناءه وأصبحت الصالحية مشهورة بهذا الجامع الذي يزوره معظم العلماء وطلاب العلم من كل مكان لحضور مجالسه وحلقاته . ولا يزال الجامع قائما إلى اليوم وطرأت عليه عدة ترميمات سنة 2002هـ/2003م (32).

ب- المدرسة العمرية :

تعتبر أول مدرسة بنيت بالصالحية بناها الشيخ أبو عمر المقدسي وسط دير الحنابلة (33)، وسميت بالعمرية نسبة لأبي عمر وقيل بالشيخية نسبة لشيخ الإسلام أبي عمر وقيل كونها شيخة المدارس وأولها بالصالحية ، وأراد أبو عمر أن تكون المدرسة خاصة بتعليم القرآن والفقه الحنبلي وقد حفظ فيها القرآن خلق كثير (34).

وقد كانت أوقاف المدرسة كثيرة تفي متطلبات الطلاب والشيوخ مما يساعدهم على الاستقرار وتتبع العلم منها الأطعمة المتعددة والفاكهة والعسل والألبسة الشتوية والصيفية وما يحتاجه الطلاب من أدوات وكتب (35) .

وكان للمدرسة مكتبة خاصة بها عامرة بآلاف الكتب في كل الفنون توفر للطلاب والشيوخ البحث والتقصي وبالمكتبة مصحف بخط الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه (36) .

ومن أبرز شيوخ المدرسة عبد العزيز بن عبد الملك بن عثمان المقدسي الفقيه عز الدين أبو محمد توفي سنة 634هـ/1236م سمع الحديث وتفقه في المذهب الحنبلي ودرس بالعمرية إلى أن توفي (37) ، كما درَس بها علي بن عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر المتوفي سنة 699هـ / 1299 م وغيرهم ، وكان في كل يوم درس

خاص وظلت المدرسة لمدة قرنين خاصة بالمذهب الحنبلي ثم شملت دروس للحنفية والمالكية والشافعية (38).

وكان في المدرسة شيخ يلقن القرآن للأطفال وهو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الصمد بن مرجان الشيخ العالم القدوة شمس الدين أبو عبد الله توفي سنة 774هـ/1372 م (39).

ومن أئمة العمرية أيضا محمد بن أحمد بن أبي حسن بن عبد الله بن الشيخ الإسلام أبي عمر الشيخ البارع صلاح الدين ابن قاضي القضاة شرف الدين المعروف بابن قاضي الجبل وقد ولي النظر على مدرسة جده توفي سنة 781هـ/1379م(40) ومحمد بن محمد بن عبد الله الحاسب موفق الدين كان فقيها ويؤم بمدرسة جده أبي عمر توفي سنة 784هـ/1382م (41) .

وبعدها بدأ يضمحل أمر المدرسة العمرية ولم يعد لها أثر سوى قوس إيوانها الشمالي وتحولت إلى دار تستغل لمصالح الجامع المظفري ونقلت كتبها إلى المدرسة الظاهرية المعروفة والتي تحتوي على عدد كبير من الكتب القيمة وعليها خطوط العلماء خاصة خط الضياء المقدسي(42) وفي سنة 1942م أزيل قسم كبير منها فجزء بني طريق وجزء سكن ولم يبق سوى جدارها القبلي الحجري والطابق الأرضي حول إلى طريق لشارع جديد وتهدمت معظم جدرانها ولم يبقى سوى جزء صغير ، وقد طالب سكان الصالحية من السلطات الحفاظ على هذا التراث المتبقي وتحويله إلى مركز ثقافي للشباب (43).

ج- مدرسة دار الحديث الضيائية :

تنسب إلى ضياء الدين أبى عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل بن منصور السعدي المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي توفي سنة 643هـ/1245م ويعتبر مؤسس الصالحية أحمد بن محمد بن قدامة المتوفي سنة 558هـ/1163 م جده لأمه وقد كان عالما في الحديث وأحوال رجاله (44) .

وقد بنى مدرسة دار الحديث هذه شرقي جامع الحنابلة وجعلها دار لتدريس الحديث وعلومه ، كما جعلها أيضا للفقراء والغرباء الواردين ، وكان الضياء يعمل بالمدرسة بنفسه ولما فرغ من بنائها درَس بها (45).

وجعل في المدرسة كتبا كثيرة بخطه بخزانة المدرسة ومن أهم مدرسيها بانيها الضياء وبعده الشيخ تقي الدين بن عز الدين ثم شمس الدين خطيب جبل الصالحية توفي سنة 688 هـ /1289م (46) وأحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر السعدي أبو العباس المتوفي سنة 703 هـ/1303م ومنهم أيضا محمد بن إبراهيم بن

عبد الله بن أبى عمر المقدسي كان يدرس بالضيائية وبالجامع الحنبلي وتوفي سنة 748هـ/1347 م (47) كما اشتهر بتدريس الحديث بالضيائية أحمد بن محمد بن عبد الرحيم موفق الدين توفي سنة 693 هـ/1294م (48) وهذه المدرسة لم يعد لها أثر فقد إندثرت نهائيا (49).

د- رباط دير الحنابلة:

عندما انتقل المقادسة إلى الجبل ، قاموا ببناء البيوت والدور فأطلق على هذه المساكن اسم دير الحنابلة ،ثم قام مؤسس الصالحية الشيخ أحمد بن محمد المقدسي ببناء رباط داخل هذا الدير وأنفق عليه أموالا لتغطية احتياجاته ، وكان هذا الرباط خاصا بالنساء كن يجتمعن فيه لسماع الحديث والقرآن(50) .

وبذلك يتبين مدى إسهام المقادسة بتعمير الصالحية ، حيث اهتموا أكثر ببناء معاهد العلم التي تخرج منها الكثير من الطلاب الذين ساهموا بدورهم في نشر العلم وقد ذكرنا منها أربعا

خاتمة :

يتضح مما سبق ذكره أن هجرة بنى قدامة إلى دمشق كان لها أثر كبير على المنطقة حيث تم تأسيس مدينة كبيرة هي الصالحية نسبة إلى مؤسسيها الصالحين وكاد أن يطلق عليها اسم دمشق الجديدة لما عرفته من تمدن ونشاط علمي كبير .

وقد تحولت منطقة جبل قاسيون من أرض قاحلة مهجورة إلى أرض عامرة بالسكان مزدهرة العمران ، وكثر روادها وعلماؤها وانتشر بفضل بني قدامة المذهب الحنبلي وكثر التصنيف على هذا المذهب .

واشتهر اسم الصالحية في المشرق والمغرب الإسلامي وأصبح الناس يشدون الرحال إليها بحثا عن العلم وكثر فيها العلماء وزاد النشاط العلمي ، وبرزت أيضا نساء عالمات ساهمن في الحركة العلمية والتوعية الاجتماعية .

كما كان للمقادسة دور كبير في بناء معاهد العلم بالصالحية كالجوامع والمدارس ودور الحديث والزوايا والخوانق التي تخرج منها آلاف الفقهاء والمحدثين والقراء مثل المدرسة العمرية ودار الحديث الضيائية وجامع الحنابلة وغيرها .

ثم اتسعت البنايات حول الصالحية وكثرت بها المراكز العلمية فلا تخلو ناحية من نواحي الصالحية إلا وبها مركزا علميا .

ويستنتج أيضا أن آثار المقادسة العلمي لم يقتصر على دمشق فقط ، بل امتد أثره لأرجاء واسعة من العالم الإسلامي كما أن العلماء وطلاب العلم من كل ناحية كانوا يترددون على الجامع الحنبلي الذي بناه المقادسة لحضور مجالس العلم والاستفادة من العلماء المقادسة.

كما أن العلماء اليوم في إصداراتهم الفقهية وفتاويهم يرجعون إلى المصادر الفقهية المقدسية التي تعتبر ضرورية ومهمة ككتاب " المغني " و" الكافي " و" المقنع " لموف ق الدين بن قدامة المقدسي إلى جانب المصادر الأخرى في علوم الحديث والتفسير والقرآن .

الهوامش:

(1) لم يحرر بيت المقدس من يد الصليبين حتى سنة 583هـ/1187م على يد صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين/ ابن كثير، البداية و النهاية ، مكتبة المعارف ،بيروت، ج12، ص320و ما بعدها .

(2) محمد بن طولون الصالحي ، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، ت محمد أحمد دهمان ، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، 1949م، ج1 ، ص28، 30 .

(3) مسجد أبي صالح ، نسبة لواقفه مفلح بن عبد الله أبو صالح متعب المتوفى 330هـ و هو موجود بظاهر الباب الشرقي بدمشق / ابن كثير، المصدر السابق ج 11، ص 205

(4) جبل قاسيون: مدينة دمشق عند أقدامه اشتهر بالصالحية و بجبل الصالحية منذ 554هـ لنزول بني قدامة المقادسة به واشتهروا بالصالحين / ابن طولون المصدرالسابق، ج1 ، ص 2و5 .

(5) اختلف في سبب تسمية المنطقة بالصالحية فمنهم من يقول نسبة إلى المسجد الذي نزلوا به مسجد أبي صالح ، ومنهم من يقول أنهم عندما نزلوا الجبل قيل لهم صالحون فسميت المنطقة بالصالحية / عبد القادر النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، ط 1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1990 ج1 ،ص79.

(6) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ت صلاح الدين منجد ، ط 2، الكويت مطبعة الحكومة ، 1948،ج4 ، ص 164 وابن كثير ، المصدر السابق ،ج13 ، ص 60 و ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ج 3 ، ص 88،90

(7) ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق، ج3 ، ص224 ، 225 .

(8)ابن مفلح برهان الدين ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، ت عبد الرحمن بن سليمان العثمين، الرياض ، مكتبة الرشد للنشر ، 1990 ، ج2 ، ص167، 109، 335.

(9) نفس المصدر ، ج2، ص234و 404 .

(10) ابن كثير ، المصدر السابق ،ج14،ص75 .

(11) ابن المفلح ، المصدر السابق ،ج 2،ص80والذهبي ، تاريخ الإسلام ،ت عمر عبد السلام التدمري' ط 2 ، دار الكتاب العربي ، 1991،ج1،ص4667 .

(12) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج14،ص154والصفدي ، الوافي في الوفيات ، بيروت، دار صادر،1991،ج1،ص32 .

(13) الذهبي ، العبر ،ج1،ص288،وابن كثير ، المصدر السابق ،ج13،ص319.

(14) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ت محمد عبد المجيد خان ، ط 2 ،حيدر أباد ، الهند ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، 1972م ، ج1 ، ص 103و 120 و ص 139 ، و الذهبي ، العبر ، ج5 ، ص 284.

(15) الذهبي ، تاريخ الإسلام ،ت عمر عبد السلام التدمري ،ط2، دار الكتاب العربي ، 1991 ج1،ص4667.

(16) ابن رافع السلامي ، الوفيات ،ت، عادل نويهض ، ط2، بيروت ، دار الآفاق الجديدة ،1978،ج1 ص387.

(17) برهان الدين بن مفلح ، المصدر السابق ،ج2،ص282 .

(18) ابن حجر ، المصدر السابق ، ج2،ص254 ،وج4،ص263 .

(19) الذهبي ، معجم الشيوخ، ج1،ص23،26 .

(20) الذهبي ، المصدر السابق ،ج 1،ص30،والمكي أبو الطيب، ذيل التقييد، ت كمال الحوت ،ط 1، بيروت ، دار الكتب العلمية ،1410م ،ج1،ص275 .

(21) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج 1،ص139–435 وج3،ص202–457 و ج1 ص412 وج23 ص112 ، والعبر، ج5،ص344–408 وج 6،ص28–219، وتاريخ الإسلام ،ج 1،ص423، ومعجم الشيوخ ،ج 1،ص23–56 وابن حجر ، الدرر ج 2،ص365 وج4،ص218–429 وأبو الطيب المكي،ذيل التقييد ج 2،ص386،374والسلامي ،الوفيات ج 1، ص300 ، 502 والصفدي ، الوافي في الوفيات،ج1،ص1191،1507،1191وابن كثير، المصدر السابق ج12،ص245وج13،ص78 .

(22) ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ،ج2 ، ص 88–92 ،و ص 224و225.

(23) نفسه

(24) نفسه

(25) نفس المصدر، ج2 ، ص 88و92.

(26) نفس المصدر ،ج2 ، ص88– 225.

(27) نفس المصدر ، ح2 ، ص 88و92و225و ابن مفلح ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص167و109 و ابن حجر ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 139 .

(28) عبد القادر بدران ،منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ،بدمشق ، المكتبة الإسلامية ص373.

(29) عبد القادر النعيمي ، الدارس ، ج2،ص335 .

(30) نفسه

(31) ابن المفلح ، المصدر السابق،ج2،ص110وص234 .

(32) عماد الأرمشي ، مساجد دمشق ،الإمارات ، 2009 م،ص2 .

(33) محمد ابن طولون ، القلائد الجوهرية ،ج1، ص165 .

(34) عبد القادر النعيمي ، المصدر السابق ،ج2،ص78 ومحمد ابن طولون المصدر السابق ج1، ص171.

(35) محمد ابن طولون ، المصدر السابق ، ج1،ص178–179 .

(36) نفس المصدر ،ج1، ص183 .

(37) نفس المصدر،ج1،ص171 .

(38) نفس المصدر ، ج1،ص174–175 .

(39) نفس المصدر ،ج1،ص177 .

(40) نفسه .

(41) نفسه

(42) نفس المصدر، ج1، ص83 .

(43) زينب بنوة ، المدرسة العمرية ، مجلة النور ، العدد 352 ،2008 ،ص2 .

(44) عبد القادر بدران ، منادمة الأطلال ، ص243 .

(45) ابن طولون ، المصدر السابق ، ص76– 77 .

(46) نفس المصدر ،ص81 .

(47) نفس المصدر ، ص82 .

(48) نفس المصدر ، ص82 .

(49) د/ خالد كبير علال ، الحركة العلمية الحنبلية و أثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين 6–7 هـ ، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ، إشراف د/ عبد الحميد حاجيات ،كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ ،بوزريعة، 2003م ، غير منشورة.

(50) ابن العماد الحنبلي ،الشذرات ،ج3 ،ص27–30 .